دينية القيم الطائفية ودورها في اسطرة العقلية العراقية

أ.م.د. صلاح كاظم جابر

كلية الآداب/جامعة القادسية

الخلاصة:

تسيطر على واقع الحياة الاجتماعية للفرد و المجتمع العراقي الكثير من القيم، التي تنسب الى الدين (دينية الا انها قيم تدين وليست قيم دين). لوجود الاختلاف البين بينها و بين القيم الدينية الاساسية، التي حددت بواسطة النص الديني التأسيسي (الكتب المقدسة). لمعظم الاديان التي تؤلف البناء الديموغرافي للمجتمع العراقي بشكل عام، والدين الاسلامي منها بشكل خاص. حيث تؤلف هذه الديانة النسبة الديموغرافية الاعلى فيه. لان مضمون هذه القيم من المعنى الفردي و الاجتماعي هو الذي يكسبها قوة التاثير وفاعلية الظهور في السلوك الانساني. ومن هنا تستمد الجماعات الاجتماعية قوة الاصرة الاجتماعية التي تربط بين افرادها بما حدوث عملية تفتيت او تشتيت اجتماعية. اذا ما عرفنا ان هذه الجماعات اعتمدت مثل هذه القيم كاساس (نسق) ثقافي لبلورة الهوية الثقافية الدينية لها بهدف الحفاظ على استمرارية وجودها الاجتماعي داخل المجتمع العراقي . الذي لا ينفرد بهذه الخاصية دون غيره من المجتمعات بل يشترك معها في ذلك الا انه ينفرد في شدة تاثيرها الفعلي على واقع الحياة الاجتماعية للفرد والمجتمع على حد سواء.

ان القيم هي المحددات الاساسية لسلوك الانسان وهي التي تتحكم بكل تفاصيل حياته الاجتماعية وتوجهها الوجهة التي يرغب او ترغب بها المجتمع او الجماعة الاجتماعية من خلال تحديدها لنمطية السلوك الاجتماعي بين الرفض والقبول (توقعات الدور). وتحدد ايضا انماط الادراك والوعي الاجتماعي (السياسي والاقتصادي والتربوي والديني والاسري) عنده. اذ تمثل هذه الانماط صور الادوار الاجتماعية التي يمكن ان يتمثلها الفرد في مراحل حياته المختلفة. من خلال اكسابه نمط محدد من الشخصية الاجتماعية العامة والفردية(دور عملية التنشئة الاجتماعية). على هذا الاساس فان نسق القيم الاجتماعية يلعب دورا فاعلا في تحديد الصور الاساسية للوظائف العقلية للفرد و المجتمع على حد سواء. فاذا ما افترضنا بان هنالك عقل مجتمعي، يكون عبارة عن مجموعة المميزات العامة او التشابه الوظيفي لعقول الافراد الذين يشكلون اسس البناء الاجتماعي في هذا المجتمع او ذاك. من

خلال هذه المقاييس الاجتماعية المتمثلة بالقيم بشكل عام والقيم الدينية منها بشكل خاص لأنها اكثر القيم الاجتماعية فاعلية في حياة الانسان وهي اهم المسلمات الاساسية في علم الاجتماع الديني.

المقدمة

الدين كنص تأسيسي مقدس واحد من اهم المصادر الاساسية للقيم الاجتماعية. التي تعد المحددات الاساسية للسلوك الاجتماعي للفرد والجماعة الاجتماعية. اذ تنظم القيم مجموعة الاستجابات التي ينتجها الفرد تجاه المثيرات في المواقف التفاعلية التي يدخل فيها كأحد اطراف التفاعل بصورة مباشرة او غير مباشرة. فتحدد القيم السلوك على اساس من توقعات الدور التي تؤدي وظيفة مهمة في عملية تنميط السلوك الاجتماعي بين الرفض والقبول. تشكل القيم بمجموعها ككل متكامل يعمل على بناء منظومة معرفية منطقية (عقلية) عند الفرد لإنتاج السلوك الذي يوسم بانه اجتماعي بما يكسبه القدرة على التعامل المعرفة الاجتماعية. سواء المكتسبة منها بشكل جاهز تلك التي يتلقاها الفرد من عملية التنشئة الاجتماعية التي تشترك فيها كافة المؤسسات الاجتماعية المؤلفة للبناء الاجتماعي في المجتمعات الانسانية. او التي يعمل الفرد على التوصل اليها في سعيه الى تحقيق وجوده من خلال اضفاء المعنى عليه الذي يتم بدوره من خلال تمثل القيم الاجتماعية.

تأخذ النصوص التأسيسية المقدسة في كل الاديان التي عرفتها البشرية طابع العمومية الفلسفية المفرطة التي تجعلها صالحة لكل زمان ومكان من وجهة نظر المؤمنين بها. الا ان التغير الاجتماعي الذي يأخذ طابع الحتمية، الذي يصيب جميع المؤسسات الاجتماعية بما فيها المؤسسة الدينية، التي تأخذ على عاتقها ترجمة النص الديني الى واقع اجتماعي من خلال ضبط سلوكيات الافراد المؤمنين به. يفرض الحاجة الى اعادة تكييف النص الديني من خلال اعادة بناء الصورة التاريخية له بما يتلائم وواقع الحياة. يتم ذلك من خلال اعادة قراءة النص الديني ووضع التفسيرات على شكل نصوص دينية تشير الى المقاصد الحقيقية للإله. التي تأخذ بدورها قدسية النصوص التأسيسية بعد ان ترفعها الى السماء بوصفها نتاجا لها لا يصح التعامل معه الا من خلال رجل الدين (المخول الاجتماعي).

تمر هذه العملية بمراحل عدة نظرا لاختفاء الكاريزما (النبي المخول الالهي بالتعاطي مع النص حتى تصل الى المخول الاجتماعي (رجل الدين)) الذي يتعقل منطقية النص الديني التأسيسي على اساس من الخلفية المعرفية والثقافية له. هذا ما خلق الاختلاف الديني في كل الاديان لان المدونات اللاحقة عملت على تبرير الكثير من الوقائع الاجتماعية المرتبطة بالمصالح البشرية للسياسي ورجل الدين. فضلا عن وجود فارق زمني كبير جدا يتيح اضافة ما يمكن اضافته اليها. جاءت هذه الاضافات على شكل قصص وروايات تناقلتها الاجيال شفاها بما يشبه الى حد كبير انتقال الاسطورة في الموروث الاجتماعي. التي غالبا ما تأخذ طابع القدسية من اضافتها الى الدين رغم عدم انتسابها له.

المبحث الاول

مشكلة البحث

تتحدد مشكلة البحث في الصورة الدينية التي تضفى على القيم الطائفية التي هي قيم اجتماعية تحكم واقع الحياة الاجتماعية في المجتمعات الانسانية من ناحية التنظيم الاجتماعي الديني لهذه المجتمعات. من خلال نسبة هذه القيم الى الدين بوصفها الممثل الاساسي له، باعتماد الصورة الاسطورية للتفكير الاجتماعي. الذي جاء بها مما كون مجموعة التساؤلات عند الباحث يرى انها تمثل صورة العلاقة التي تتضمنها عناصر الموضوع وكما يأتي:-

١-هل ان الافتراق الديني الطائفي والمذهبي الذي يهدد الوجود الاجتماعي للمجتمعات هو حقيقة دينية ام اجتماعية

٢-هل ان الطابع الاسطوري لمعرفة الاجتماعية التي ولدت القيم الدينية الطائفية والمذهبية تتطلب نمطا من التفكير الاجتماعي الاسطوري الذي اسبغ على هذه القيم منطقها الديني؟

٣-هل اتسمت العقلية الفردية والاجتماعية بالأسطورية التي اعتمدت بالدرجة الاساس على القياس الاجتماعي لمنطق المعرفة بدلا من اعتماد القياس المنطقي للمعرفة الاجتماعية.

٤-هل كانت هنالك عمليات اسطرة ممنهجة للتفكير الاجتماعي للحفاظ على هذا الافتراق الديني بما يطبع شكل التفاعلات الاجتماعية الدينية بطابعها الطائفي والمذهبي الذي يهدد الوجود الاجتماعي في المجتمع العراقي من خلال التلويح بالحرب الطائفية التي تقوم على اساس من المصالح السياسية والحزبية الضيقة

اهمية البحث تتحد اهمية البحث العلمي في البحوث الاجتماعية بجانبين اساسيين هما:-

اولا- الاهمية العلمية والتي تنحصر بالنقاط الاتية:-

١- التعرف على الدور الذي تلعبه القيم الطائفية والمذهبية في الخلاف الاجتماعي الذي يهدد الوجود الاجتماعي للمجتمع من خلال المنظومة المعرفية الطائفية والمذهبية.

٢- التعرف على اهمية الاختلاف الديني وموقف الدين منه من خلال المنظومة القيمية التي يزود بها الحياة الاجتماعية للأفراد والجماعات في المجتمعات الانسانية ومنها المجتمع العراقي

ثانيا- الاهمية الذاتية والتي تنحصر بالنقاط الاتية:-

١- التعرف على الارتباط بين اسطورية نشأة القيم الطائفية والمذهبية من خلال التفكير الاجتماعي الذي اوجدها ودوره في اسطرة التفكير الاجتماعي لتثبيت هذه القيم وجعلها عصية على التغيير.

٢- التعرف على موقف القيم الدينية الاساسية التي سحبت من النص الديني التأسيسي من القيم الطائفية والمذهبية وتأثيره السلبي في الحياة الاجتماعية من خلال مواقف مجموعة من رجال الدين في عملية التقريب بين الاديان والمذاهب او التعايش السلمي بين الفرق والطوائف.

اهداف البحث يهدف البحث الحالي الى بيان ما يأتي:-

١- ان الصورة الدينية التي اضفيت على القيم الطائفية والمذهبية تمت من خلال مجموعة من العمليات الممنهجة التي اخذت واضفت الطابع الاسطوري على القيم الدينية بما جعل من عملية التفكير الاجتماعي تتسم بالسمة الاسطورية.

٢- بيان ان العقلية الفردية والاجتماعية في ظل التطيف والتمذهب الديني اخذت طابعها الاسطوري نتيجة عمليات الاسطرة الممنهجة التي ترتبط بصورة بماشرة بالمصالح الاجتماعية لرجال الدين.

٣- بيان ان الاسس الدينية التي قام عليها الافتراق والتمذهب الديني لا توجب الخلاف الديني قدر ما توجب الاختلاف من اجل التعايش والتعارف.

٤- ان اسطورية التفكير الديني للأفراد الذين يتبعون المذاهب والفرق الدينية بما يتسمون به من التطرف يعود بالدرجة الاساس الى فهمهم للدور المكانة الاجتماعية التي يحظى بها رجل الدين في الحياة الاجتماعية.

تحديد المفاهيم

الدينية (religiosity)

ان مفهوم الدينية يعد واحدا من المفاهيم الاساسية في علم الاجتماع الديني. الذي يشير الى اضفاء الصفة او السمة الدينية على كل الظواهر والسلوكيات الاجتماعية ذات المنشأ الاجتماعي المرتبطة بالممارسة الدينية من خلال تأثيرها بنمط السلوك الديني الذي ينتجه الفرد والمكانة الدينية التي يتحدد على اساسها طبيعة الدور الذي يؤديه الفرد في الحياة الاجتماعية.[١]

كما تشير الدينية الى الصفة التي يضفيها المجتمع على بعض الظواهر او السلوكيات الاجتماعية التي يرتكبها الافراد بدافع من انتمائهم الديني من اجل توكيد الهوية الدينية لهم[٢]

القيم (values)

يرى افلاطون ان القيم هي مجموعة الوقائع الموضوعية المتلازمة مع الوجود الاجتماعي للأشياء والتي تمثل الخير الاسمى من وجهة نظر ابناء المجتمع الذي ينتظمون ضمن ثقافة معينة تحدد مقبولية وفاعلية القيم في الحياة الاجتماعية.[٣]

القيم ايضا هي شكل من اشكال التقويم الاجتماعي للأنماط السلوكية التي ينتجها الفرد على اساس صورة الموقف التفاعلي وانتسابه الى واحدة من المؤسسات الاجتماعية المؤلفة للبناء الاجتماعي في المجتمعات الانسانية.[٤]

تشكل القيم الاجتماعية التي تعد العمود الفقري لكل ثقافة نسقا(system) تتدرج فيه هذه القيم على اساس من اهميتها للحياة الاجتماعية للفرد والجماعة الاجتماعية وما تنطوي عليه من مقبولية اجتماعية من شمولية في تفسير السلوكيات التي ينتجها الافراد على اساس هذه القيم.[٥]

الطائفة الدينية او المذهب (cast)

تعرف الطائفة على انها حركة احيائية تتمثل في مجموعة التوقعات الاجتماعية التي تمثل نسق محدد من المعتقدات التي تظهر في الحياة الاجتماعية نتيجة الاندماج الحاصل بين الديني والاجتماعي من خلال دمج العناصر الدينية مع عناصر الثقافة المادية الذي يسببه الحرمان النسبي الذي تتميز به احدى الجماعات الاجتماعية التي تتبنى قيم ومعتقدات هذه الطائفة او تلك نظرا لتغلب احد الطوائف في السيطرة على توجيه الحياة الاجتماعية تجاه انتشارها على حساب الطوائف الاخرى.[٦]

وتعرف ايضا على انها طبقة او جماعة اجتماعية مغلقة تقوم على اساس من الوراثة الاجتماعية التي تعمل على تحديد المركز الاجتماعي للأعضاء تتشكل وفق نسق محدد من المكانات الاجتماعية التي تحدد مواقع السادة والتابعين وغالبا ما تستند الى التنظيم الديني وتستمد قوة تأثيرها من قوة الايمان الديني الذي يتميز به الافراد.[٧]

وكذا تعرف على انها شكل من اشكال التنظيم الديني الذي ينطوي على نسق ثابت للتدرج الاجتماعي للمؤمنين بها او اتباعها يتميز بمجموعة من الخصائص الاجتماعية من اهمها انها تقوم على اساس من وجود التفكك او الانقسام الاجتماعي الى جماعات اجتماعية متمايزة مغلقة (انعدام التكامل) وتترتب العلاقات الاجتماعية فيها على اسس دينية بما يخلق تسلسل اجتماعي يقوم على اطار محدد دينيا.[٨]

اما بالنسبة الى مفهوم القيم الطائفية فيشير الى كل التعاليم الدينية التي تعمل على تركيز الانقسام الديني على اساس من وجود نصوص دينية ثانوية ضمن المنظومة الحديثية التي دونت في القرن الثالث الهجري والتي تضمنت حديث الفرقة الناجية الذي تتفق كل المذاهب والطوائف الاسلامية على ضعفه ولكنهم يتمسكون به لتوكيد الهوية الدينية والطائفية والحفاظ على الاتباع ومثل هذا الحديث موجود في كل الاديان التي عرفتها البشرية بما فيها الاديان الوضعية والوثنية التي انقسمت فيما بعد الى فرق وطوائف ومذاهب.

الدور (role)

هو مجموعة التوقعات السلوكية التي يترقبها المجتمع من شاغل الدور في المواقف الاجتماعية التي يتفاعل على اساسها. لذا فهو الوظيفة التي يقوم بها شاغل الدور لكي يحقق عملية التمثل والاندماج الاجتماعي في تفاعله مع الاخرين من افراد الجماعة الاجتماعية او المجتمع.[٩]

يعرف ايضا على انه المنظومة السلوكية التي تشكلها متلازمة الحقوق والواجبات التي تتميز بها مكانة او موقع اجتماعي معين اذا ما تمت الاستجابة الاجتماعية على اساس التوقعات الاجتماعية للأنماط السلوكية للفاعل الاجتماعي.[١٠]

وكذا تعرف على انها الاكراهات المعيارية التي يفرضها المجتمع او الجماعة الاجتماعية من خلال نسق القيم والعادات والتقاليد والاعراف الاجتماعية على شاغل المركز او المكانة الاجتماعية اذ يكتسب الدور اهمية اجتماعية كبيرة جدا في كونه الوحدة الاساسية لتحليل السلوك الاجتماعي للفاعلين الاجتماعيين افرادا كانوا ام جماعات.[١١]

الاسطورة (myth)

تعرف الاسطورة على انها حكاية او مجموعة من الحكايات بنيت وفق نسق محدد لتقديم التفسيرات والتبريرات الاجتماعية حول نشأة بعض القيم الاجتماعية التي تثير تساؤل الانسان في المجتمع عن اصولها ومدى ارتباطها بواقع حياته الاجتماعية وبالتالي تساؤله عن اهمية الالتزام بها في حياته.[١٢]

تختلف مستويات التقديس الاجتماعي التي تضفى على الاسطورة وفق بنية النسق القيمي ومدى الاهمية الاجتماعية التي تحظى بها القيمة الاجتماعية ومدى الحاجة الاجتماعية الى تفسيرها في اي مجتمع من المجتمعات اذ لا يخلوا اي مجتمع انساني عرف لحد الان من هذا النظام الحكائي التبريري والتفسيري للقيم الاجتماعية.[١٣]

وكذا تعرف الاسطورة ايضا من المعنى الأنثروبولوجي على انها مجموعة المعتقدات الدينية الزائفة التي توفر الاجابات الاجتماعية عن الاسئلة الوجودية التي تشغل بال الانسان. اذ تشكل الاسطورة احد الروافد المهمة للثقافة.[١٤]

اما الاسطرة فتشير من وجهة نظر الباحث الى تلك العملية الممنهجة التي يتم استخدامها من قبل المستفيدين مصلحيا من عملية الافتراق الديني الطائفي والمذهبي من خلال اتاحة الفرصة امام المخيال الاجتماعي الذي يتميز بضيق الافق والذي يتحدد بمجموعة من التعاليم التي يفرضها رجال الدين على انماط التدين الشعبي في المجتمعات النامية او المتخلفة.

اما اسطرة العقلية فتشير من وجهة نظر الباحث الى عملية ربط التفسيرات والتبريرات التي تحظى بها القيم الاجتماعية التي تدفع نحو التفكك الاجتماعي للمجتمعات على اساس من التطيف الديني والتفرق المذهبي بين اتباع الدين الواحد بهدف تمرير المصالح الاجتماعية لكل من رجل الدين والسياسي الذين تترابط مصالحهم بصورة مباشرة في المجتمعات المتخلفة التي تتميز بصبغة التفكير الاسطوري في عمليات التفسير يتم ذلك من خلال ربط المنطق العقلي بالإيمان غير المشروط لما يصدر عن رجل الدين كونه المصدر الوحيد للمعرفة الدينية الاجتماعية

العقل (mind) – العقلية (mentality)

العقل في اللغة العربية هو القيد الذي يوجه المقيد نحو اتجاه يوفر له تعقل الهدف والمسار في ان واحد.[١٥]

اما في اللغة الانكليزية فتعددت المضامين التي ينطوي عليها مفهوم العقل بتعدد مترادفات هذا المفهوم فهو (intellect) الذهن اذا ما عرف على انه العلم بصفات الاشياء من ناحية حسنها وقبحها.[١٦] وكذا هو(raison) الذي يشير الى الوضع الذي يدفع الى او يسوغ ارتكاب الفعل.[١٧] وهو (mind) اذا ما اشار الى تلك الوظيفة الاجتماعية التي يقوم بها التفكير في تحديده لأسلوب التصرف والسلوك محدد الهدف مسبقا وكذا امكانية الاسهام في تغيير اسلوب التفكير.[١٨] وهو (esprit) عندما يشير الى كيان مجرد منظم يكون مصدر انشطة الفرد الاجتماعية ولا يمكن فهم تنظيمه الا بالرجوع الى البيئة الثقافية والاجتماعية التي نشأ على اساسها.[١٩]

اما العقلية (mentality) فتشير الى هي ارتباط التفسيرات الاجتماعية والتبريرات القيمية بالمنطق وشدة تأثرها به بما يؤثر بصورة مباشرة على فاعليتها الاجتماعية وبما يضفي عليها طابع العقلانية التي تشير بدورها الى اخضاع الفعل الاجتماعي الى الموازنة بين المصلحة المنطقية وتأثير القيم والعادات والتقاليد والاعراف والدين .[٢٠] والعقل عند هيجل هو العضو الذي يقوم بدور التعقل في حياة الانسان الذي يشير الى عملية التفكير النسقي المتبع لاستخلاص النتائج والتوصل الى الاستنتاجات على اساس المبادئ المنطقية.[٢١] اما العقل الديني كما يفهمه المسلمين اليوم هو عقل العودة الى الماضي التي تشير الى العلاقة بين العقل والتراث بسبب من الياس الذي يستحوذ على التفكير الاجتماعي لهم من الوصول الى مستقبل عقلاني بوجود الدين بما يدفع الى تفضيل البداوة على الحضارة [٢٢]

اما اسطرة العقل على الاسس الطائفية فيقصد بها الباحث الاعتماد في بناء التفكير الاجتماعي لاتباع الطوائف والمذاهب الدينية بالاعتماد على موروثات الدين التي اخذت شكل موروثات التدين نظرا لتعدد تفسيراتها القائمة على اساس من التفسيرات الفردية للنص الديني التأسيسي والنصوص

الثانوية التي تتميز بتصلبها في تصوير العلاقة بالآخر الجواني على خلاف حقيقة هذه القيم التي تتميز بمرونتها في التشريع الاساسي حتى في تصوير العلاقة مع الاخر البراني.[٢٣]

المبحث الثاني

الاسطورة والدين

تتضمن كل الاديان مجموعة من الافكار المواقف الاجتماعية المتجددة مع التغير الاجتماعي الذي يحدث في المجتمعات تحتاج الى التبرير والتفسير وبيان الموقف الديني منها بإصدار الاحكام الدينية بشأنها اذا ما سلم الافراد المؤمنين بهذا الدين او ذالك بان النص الديني التأسيسي قد تناول جميع ما تنطوي عليه الحياة الاجتماعية لهم بإعادة التنظيم عند ظهور او نشوء الدين الجديد وقد وجدت هذه الفكرة في الدين الاسلامي من خلال الآية القرآنية التي تشير ان الله تناول كل منطويات الحياة الاجتماعية للمؤمنين بالتنظيم الذي يوصلهم الى نيل رضا الله والجنة فقد ورد في قوله تعالى (قالوا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة لا كبيرة الا احصاها)[٢٤] وكذلك في قوله تعالى (لا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين)[٢٥] وقد تكررت هذه الآية بنفس اللفظ في الآية ٣ من سورة سبا. وبذا فهم لا يحتاجون الا الى اتباع تفاصيل هذا الكتاب المبين الذي يجمع مفسري النص القرآني على انه القران الكريم الذي تم التصريح به في الآية الاولى والاشارة اليه ضمنا في الآيتين اللاحقتين واذا ما عرفنا ان سور الكهف ويونس وسبا من السور التي نزلت في مكة للجدال مع المشركين حول بيان التفاصيل التي تحدد اطر الايمان واهميته للنجاة من العذاب.[٢٦]

نجد ان هذه الصورة من التوضيح القرآني لأسس الحياة الاجتماعية تركت للاجتهاد البشري الذي يتوجب فيه مراعاة واقع الحال الاجتماعي والمصلحة الاجتماعية فنجد الكثير من الاحاديث التي نقلت عن الرسول محمد (ص) تشير الى ذلك مثل قوله (انتم اعرف بأمور دنياكم) وقوله (لا تسالوني لئلا تحرم) وقوله (لا تفعلوا كما فعل بنو اسرائيل في البقرة) فتح الباب واسعا امام الاجتهاد في المسكوت عنه الهيا ونبويا.* على ان يقوم على اسس من المصلحة الاجتماعية العامة كما يشير الى ذلك صراحة الحديث الاول الا ان ما حصل بعد وفاة النبي وانعدام مصدر موحد مخول الهي للاحتكام حول النصوص واهليتها في توجيه الحياة الاجتماعية تدخلت الرؤى الفردية بشكل ملفت للنظر.

كما ان بعد المسافة الزمنية بين الاحكام والتدوين لئلا يختلط الكلام العادي للنبي والناس بالقران. وتأخره الى القرن الثالث الهجري هو الذي اضفى على الانتقال الشفوي لهذه الاحكام في صور التدين الشعبي التي لا تخضع للأسس المنطقية في تقييم وتقويم النصوص صفة الاسطورية نظرا لما تحتويه من المبالغة في تصوير قدسية هذه الاحكام التي تبنتها جماعات اجتماعية كان لها المصلحة في تبنيها بتلك الصورة المبالغ فيها.[٢٧]

فليس الامر كما يصوره البعض من اصحاب الاهداف والمصالح بإبقاء الدين حكرا على النخبة الدينية عصيا على فهم الافراد في تفسيرهم للدراسة العلمية الموضوعية في العلوم الانسانية للنصوص الدينية تفقدها قدسيتها نظرا لجعلها مترادفة مع الاساطير او غيرها من النصوص والمرويات والموروثات الثقافية للمجتمعات. فان ما يفعله علم الاجتماع الديني هو السعي الى الوصول الى تفسير الرمزية الدينية في الممارسة الاجتماعية ودورها في صنع المعنى عند الفرد في الحياة الاجتماعية.[٢٨]

فعلم الاجتماع الديني لا ينظر الى الدين على انه اسطورة اطلاقا بل يجده حقيقة اجتماعية ملازمة للوجود الانساني. كما ان الموضوعية العلمية تفترض فيه عدم مناقشة اهلية النصوص التأسيسية او احقية مصدرها الالهي بل يجد الدين حقيقة اجتماعية ما دامت هنالك جماعة اجتماعية تؤمن بذا الدين الذي يضع لهذه الجماعة اسس التنظيم الاجتماعي الذي يسير حياتها من خلال نسق القيم الدينية التي وضعت على اساس النص المقدس هذا من جانب اما من جانب اخر فان علم الاجتماع الديني يتناول العلاقة المتفاعلة بين الدين كمؤسسة اجتماعية والمجتمع بكل ما ينطوي عليه من المؤسسات المؤلفة للبناء الاجتماعي فيه لذا فهو يتناول اثر التغير الاجتماعي في الدين عندما يدرسه ولا يستثني من ذلك أي من الاديان التي تؤمن بها الجماعات الانسانية الهية كانت ام وضعية.[٢٩]

اما بالنسبة الى السمة الاسطورية في الدين التي يرى الباحث انها غزت كل الاديان الموجودة فهي تشير الى ذلك النمط من التدين الشعبي الذي يعتمد على التعاليم مجهولة المصدر التي يتم تناقلها شفاها بين الافراد المتدينين لمجرد نسبتها الى رجل الدين الذي يتبعونه دون تحقق او تمحيص. فيبني على اساسها احكامه الدينية التي تؤدي حتما الى غلق الجماعات الاجتماعية. كما ان استغلال سطحية الوعي الديني الفعلي عند القاعدة الاجتماعية الواسعة ديموغرافيا من قبل اصحاب المصالح من السياسيين وغيرهم من الطامحين الى احتلال المكانات الاجتماعية في التنظيم الديني للمجتمع. الذين يمارسون عملية الاسطرة هذه باستغلال ضعف الوعي الديني كما هو الحال مع الارهابي ومع التلويح بالحرب الطائفية كلما تعرضت مصالح السياسي الى التهديد

الدين والاجتماع الديني

يجمع علماء الاناسة والاجتماع على ان الدين ظاهرة اجتماعية تتسم بأهم مميزات الظاهرة الاجتماعية التي حددها اميل دوركهايم في كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع الا وهي العمومية في كل المجتمعات الانسانية في حاضرها وماضيها ومستقبلها. كما ان علماء الاجتماع الديني جعلوا من اهم الاسس التي يقوم عليها هذا التخصص الدقيق من تخصصات علم الاجتماع العام عدم وجود أي امكانية في المستقبل القريب او البعيد لوجود مجتمع او جماعة اجتماعية بلا دين. فعلى الرغم من ظهور الكثير من الفلسفات والحركات الاجتماعية والعلمية والثقافية المناهضة للدين في نهايات القرن

التاسع عشر وبداية القرن العشرين حتى منتصفه تقريبا. الا انها لم تستطع سوى بلورة التجربة الدينية في حياة الفرد والمجتمع.[٣٠]

الدين من وجهة نظر علم الاجتماع الديني هو نسق من الافكار والمعتقدات الغيبية التي تنظم علاقات بني الانسان بعضهم مع البعض الاخر وعلاقاتهم مع ما وراء الطبيعة. وهذا التنظيم الاجتماعي لا يقتصر على جماعة اجتماعية دون غيرها وان كانت من الجماعات الاجتماعية غير متدينة او ملحدة او غير ذلك من السمات الى تشير الى انعدام وجود علاقة بين الانسان وما وراء الطبيعة. فالذي يحدث في مثل هذه الجماعات هو عملية استبدال النسق القيمي بشكل الصورة الدينية بنسق قيمي يقوم مقام الدين يتعصب له افراده تعصب المتدينين بدين معين.[٣١]

الدين يقوم بأهم الوظائف الاجتماعية والنفسية التي تساعد الانسان على الاستمرار في الحياة الاجتماعية بفاعلية هما توفير الاطمئنان والامل عند الفرد وتوفير الاجوبة الوجودية عن تساؤلات الانسان التي كانت مصدرا مهما من مصادر القلق الوجودي الذي يعيشه. لذا سادت نظرة علمية اكاديمية في اوساط الدارسين للدين دراسة موضوعية ان الاديان البشرية لو كانت خاطئة ما استمرت الا ان وضعها الحالي في المجتمعات الانسانية يظهر الجانب الاخر لهذه الفكرة وهو انها لو كانت صحيحة ما تفرقت الامر الذي يقودنا الى تسليط ضوء الدراسة العلمية على الاديان وما تنطوي عليه من فرق ومذاهب وطوائف واستمرارية لا يأمل منها التوقف في الانقسام وبالتالي انقسام المجتمع الى جماعات اجتماعية مغلقة.[٣٢]

الدين نسق منطقي من القيم الاجتماعية ينظم الحياة الاجتماعية على وفق الاسس التي ارادها الخالق لأفراد لمجتمع المؤمنين به. الدين يوحد الجماعات ويقوي من الاواصر الاجتماعية (كالبنيان المرصوص) التي تربط بين افراده (انما المؤمنون اخوة) ونظام المؤاخاة هو اول الانظمة الاجتماعية التي اتبعها النبي (ص). عندما انشأ اول مجتمع اسلامي فما الذي يجعل المسلمين اعدى الاعداء حتى داخل المجتمع الواحد لا يؤمنون الا باستئصال الاخر الجواني من نفس الدين الذي يؤمن بنفس المبادئ. متجاوزين بذلك حتى التعاليم الدينية الاساسية المتفق على صحتها كما هو الحال في الحديث المشهور عن رسول الله (من قال لا اله الا الله فقد عصم مني دمه وماله) وقوله (المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) بل اننا نرى ان التسامح الديني بين الاديان يقع ضمن المنظومة القيمية التأسيسية للدين. الا اننا لا نجد ضمن هذه المنظومة أي اشارة الى الافتراق الديني داخل الدين الواحد في كل الاديان التي عرفتها البشرية فما الذي سببه.

الدين والقيم الطائفية

اثبتت الدراسات العلمية ان الدين ينشا واحدا موحدا للمجتمعات في مرحلة الكاريزما (النبي) وكذلك الحواريين (الصحابة) من بعده واتباعهم الا ان الاختلاف يبدا فكريا عند ظهور الحاجة الى اعادة قراءة النص الديني نتيجة لما يحدث من التغير الاجتماعي. يبدأ هذا الاختلاف بأخذ عمقه الاجتماعي الذي يبنى بالدرجة الاساس على التفسيرات الفردية للنصوص الدينية بغرض موائمتها مع واقع الحياة الاجتماعية. ثم يتحول الى خلاف في اصل التعاليم الدينية عندما ترتبط هذه التفسيرات بالمصالح السياسية للدولة او للقائمين عليها أي ان السيطرة على مواطن القوة والنفوذ والثروة هو الذي يخلق الافتراق الطائفي الديني والمذهبي. [٣٣]

على الرغم من ان الاختلاف لا يكون الا في الفروع اذ لا يستطيع أي من رجال الدين القائمين على هذه الفرق والمذاهب والطوائف الاجتماعية الادعاء بوجود الاختلاف في الاسس الدينية للدين التي اوجدها النص التأسيسي. فيعمد اصحاب المصالح الاجتماعية الى وضع نصوص دينية لها من القيم ما يؤهلها للإلزام الاجتماعي للأفراد المؤمنين بالدين من خلال التدخل ببنية النصوص الثانوية التي تدعم النص التأسيسي ولها من القيم ما له في كونها احد اهم مصادر التشريع في هذا الدين او ذاك.[٣٤]

في الديانة الاسلامية بني الافتراق الديني والمذهبي والطائفي على نسبة حديث الى الرسول الكريم حول حتمية الافتراق بالطريقة التي تهدد وتشكك المسلمين بأيمانهم بهذا الدين وتدعوهم الى سلوك سبل شتى وهو حديث الفرقة الناجية الذي اضطر رجال الدين الى اعادة بنيية النسق القيمي الديني الاساسي وايجاد نسق قيم يحدد النسق القديم على اساس الانتماء الطائفي.[٣٥]

على الرغم من ان صيغة هذا الحديث التي يقر جميع رجال الدين الذين ينتمون الى المذاهب والطوائف المختلفة بمجموعة من المواصفات التي لا تؤهله ليكون حديثا صحيحا من اهمها الاختلاف البين في الصيغة اللغوية له مقارنة بالملكة اللغوية للرسول الكريم الذي يقول (اوتيت مجامع الكلم) وكذلك في اللاحقة اللازمة له التي توجب التفرق (واحدة منها هي الناجية). كما انه من اخبار الاحاد التي لا يعتد بها، فضلا عن عدم وضوح وتماسك الاسناد في تناقل رواية الحديث. اذ تعتمد هذه الأسس في تقويم الاحاديث النبوية الشريفة لتمييز الموضوع منها من الاصيل.[٣٦]

ان خصوصية الترابط الذي تتميز به المصالح الاجتماعية لرجل الدين وارتباطها بمركز القرار فضلا عن المصالح السياسية هي التي دفعت جميع رجال الدين الى عدم اهمال هذا الحديث على الاقل او عدم نفيه من المنظومة الحديثية (السكوت عن اهلية هذا الحديث في الانتماء الى المنظومة الحديثة التي تعد المصدر الاساسي الثاني للتشريع الاسمي وتحظى بقدسية المصدر الاول لان النبي لا ينطق

عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) بل دفعهم ذلك الى اعتماد هذا الحديث كأحد اهم الاسس الدينية في تنظيم العلاقة بين المؤمنين بالدين الواحد الذين يتخذون مذاهب شتى في ايمانهم.[٣٧]

لقد بدأت عملية الافتراق المذهبي او الطائفي في الديانة الاسلامية بأربعة مذاهب جعل منها الاحتراب الطائفي والسعي الحثيث الى السيطرة على السلطة التقرب منها عن طريق الثورات او بالوسائل السلمية التي وفرت التبريرات الدينية لأفعال الحكام التي كان سببا لانهيار الحضارة الاسلامية ٧٣ فرقة ومذهب كلها تجمع على تكفير بعضها البعض الاخر لعدم استحقاقهم النجاة المذكورة في الحديث النبوي الشريف اعلاه

المبحث الثالث

الدين وتشكيل العقل المجتمعي

يرى علما الانثروبولوجيا المعرفية ان العناصر الثقافية ومنها الدين تلعب دورا مهما في عملية تشكيل او اعادة تشكيل العقل المجتمعي من خلال توفير ميكانزمات توليد المعنى في المنظومة المعرفية والثقافية في المجتمعات البشرية عن طريق عمليتي الاستحداث الذي يرافق السلوكيات الاجتماعية الجديدة الوافدة الى المجتمع او الثقافة او الاستبدال الذي توظفه الجماعة او الطائفة لإنتاج المعنى لتغطية ما تعجز عن توفيره المعرفة الدينية التي تمتلكها من المعاني. اذ يلعب هذا الاخير دورا مهما في اسباغ المعنى على عناصر التجربة الدينية التي تمتد بعمق تاريخي الى مرحلة تأسيس الدين او الطائفة الدينية ويشكل العنصر الجديد احد اهم اسس التجربة الدينية للفرد والجماعة الاجتماعية.[٣٨]

تتميز المجتمعات الشرقية بشكل عام ومنها المجتمعات الاسلامية العربية بشكل خاص والمجتمع العراقي على وجه التحديد بانها مجتمعات متدينة تسود فيها القيم الدينية لتغلف نسق القيم الاجتماعية العام في هذه المجتمعات الا ان الطابع الديني يتميز بكونه نمط التدين الشعبي وليس النخبوي الذي يمكن معه اعادة تأطير المعرفة الاجتماعية العامة وتنقيتها مما علق بها من الصور الاسطورية التي تحدد صورة المعرفة الدينية الطائفية او المذهبية القاصرة عن توفير معاني التجربة الدينية في تفردها بين الفرق والطوائف والمذاهب الاخرى الامر الذي الجاها الى التقريب الدعوة الى التسامح والتعايش.[٣٩]

ان الدين يشكل احد اهم الروافد الثقافية في أي ثقافة عرفتها المجتمعات الانسانية والدين يأخذ خصوصيته المجتمعية في المجتمعات الشرقية فان صورة العقل الديني هي الصورة السائدة في عقلية هذه المجتمعات وطرق تعقلها لما تنطوي عليه الحياة الاجتماعية. وبما ان اعتماد هذه المجتمعات على التدين الشعبي الذي يعتمد على الاسطورة كواحد من روافد الدين والممارسة الاجتماعية له من خلال التدين. فان الثقافة بما هي منظومة قيمية تتشكل من الافكار والمعتقدات ككل متكامل ومركب وفق

المفهوم الانثروبولوجي لها ستتخذ من الديني الاسطوري اساسا لها في هذه المجتمعات في عملية توليدها للمعنى الذي يحافظ على العناصر الثقافي من الشعائر والممارسات والطقوس.[٤٠]

فمن اجل إحداث التغير الاجتماعي المطلوب من خلال عملية توظيف قوة الدين ووظائفه في تسيير دفة الحياة الاجتماعية في هذه المجتمعات. يتطلب الامر تغيير صيغة العقلية الثقافية المنتجة للمعنى لان مثل هذه المجتمعات تعتمد بالدرجة الاساس على العقل الديني كأسلوب في التفكير والتعقل وقياس عقلانية السلوكيات الظواهر الاجتماعية وبالتالي العقلية المنتجة التي هي وسيلة السيطرة على عملية التغير الاجتماعي من ناحية السرعة والاتجاه.[٤١]

ان ارتباط العقل بالميدان والمعرفة الاجتماعية يعد الاساس الذي يمكن ان تقوم عليه الحضارات ليكون واحدا من تجليات العقل المكون الذي يشير الى مجموعة من المبادئ والقواعد الذهنية السائدة في جماعة اجتماعية في فترة زمنية محددة. بما يشير الى تأثير الخصوصية الثقافية والمجتمعية في تشكيل العقل المجتمعي بصورته الدينية كصيغة مولدة للأسس الثقافية وبالتالي البنية الاجتماعية العامة لصورة الحضارة ودورها في الحياة الاجتماعية للأفراد من خلال مساعدتهم على بلورة العقلانية المجتمعية التي تضع الموازنات المحسوبة للمصالح الاجتماعية العامة ووسائل تنفيذها للخروج من ربقة التبعية الحضارية.[٤٢]

عناصر الثقافة وانتاج العقل

ترتبط العقلية المجتمعية بالصورة الاساسية للمنظومة الاجتماعية القيمية والثقافية. التي يمكن على اساسها تصنيف العقل الى عدة اصناف تعتمد بالدرجة الاساس على طبيعة المنظومة القيمية والمعرفة الاجتماعية التي تسود في هذا الميدان او ذاك من ميادين الحياة الاجتماعية. فهنالك العقل الثقافي والعقل التربوي والعقل السياسي والعقل الاقتصادي والعقل الاسري وغيرها الكثير من التصنيفات بالإضافة الى العقل الديني الذي يظهر نمطا خاصا من التأثير في الاتجاهات العقلية العامة في المجتمع فيطبعها بطابعه العام من خلال تأثير الفعل الاجتماعي المتولد على اساس من المألوف الاجتماعي الذي يقيم الذات الانسانية ويذيبها في المجموع رغما عنها او برضاها يخلق نمطا من التعقل الجمعي للقضايا والمصالح الاجتماعية العامة التي تتخذ من العقل المجتمعي وسيلة لتحقيقها.[٤٣]

تدخل هذه التأثيرات الى الحياة الاجتماعية للجماعة او الفرد من خلال عملية الاستبدال الثقافي (لان استحداث العناصر الدينية في المجتمعات المتدينة امر في غاية الصعوبة) التي تقوم بها العقلية الثقافية في المجتمع فالعقل وليد الثقافة وهو مستمر بالتكامل والنضوج الى غير حد. ليتحول الى منتج للأسس الثقافية كالقيم والمعتقدات والاعراف والعادات والتقاليد الاجتماعية وفقا للحاجة الاجتماعية المتجددة لها من خلال اضفاء المعاني التي تلائم هذه الحاجة لمثل هذه الاسس الجديدة او الحاجة الى

استبدال الاسس القديمة اذ ما قصرت في توفير المعاني الاجتماعية التي ادخلتها ضمن منظومة الثقافة في المجتمع.[٤٤]

ان مفهوم العقل المجتمعي يشير الى مجموعة التعبيرات العقلية التي تعمل على رسم صورة العالم ونظرة كل من الفرد والجماعة له في اطار الثقافة التي يعيشون في كنفها التي ترى من خلالها الجماعات الاجتماعية او المجتمعات العالم الخارجي بكل ما ينطوي عليه وتتفاعل معه للوصل الى المعنى المتولد عن هذه الصيغ الثقافية المولدة للمعنى التي تنتقل الى المجتمع عن طريق عمليتي الانتشار الثقافي او التثاقف. اذ تتشكل هذه الصورة او الرؤية الاجتماعية على اساس الفهم الذي توفره اليات الثقافة العامة او الفرعية التي تسود في جماعة اجتماعية مغلقة او مجتمع ما من المعاني الثقافية المستحدثة.[٤٥]

ان متطلبات الحياة الاجتماعية التي يعيشها المجتمع او الجماعة الاجتماعية او الفرد من المعاني الجديدة التي تضفي المعنى العام على حياته. تأتي عن طريق عمليتي الاستبدال والاستحداث الثقافي اذ تشكل هذه العمليات صيغ التعبيرات الثقافية للعقلية المنتجة ثقافيا للمعنى. والتي تزود الفرد بالقدرات الفردية الذاتية والجماعية المتمثلة بإمكانية إدراك الأساليب والفعاليات العقلية التي تقدم له المعنى العام الذي يتشكل على اساس من الاتجاهات الاجتماعية العامة للوعي المجتمعي ازاء البنى الثقافية التي يعيش فيها وكذلك تحدد له علاقته مع الذات والاخر مهما كان شكله او تصنيفه.[٤٦]

تتمظهر هذه الاساليب والفعاليات العقلية في مجموعة من الاستراتيجيات العقلية التي تتخذ من الدين غطاء لإضفاء المعنى الديني على محتويات الثقافة في الحياة الفردية والمجتمعية في المجتمعات الشرقية ومنها المجتمعات العربية الاسلامية بشكل عام والمجتمع العراقي منها بشكل خاص فاستمرارية استحداث العناصر الدينية التي تضفي المعنى على سلوكيات الافراد والظواهر الاجتماعية هو ايضا احد اهم اشكال التعبير الثقافي عن المعنى العام الذي يؤطر حياة الفرد المتدين في هذه المجتمعات او الثقافات. لذا فان عمليات التجديد الديني التي يمكن ان تحصل من خلال استبدال العناصر الدينية المرتبطة ارتباطا مباشرا بالتدين الشعبي هو الذي يدعم تكون العقلية الثقافية التي تنتج مثل هذه المعاني المتولدة عن الصيغ الثقافية العامة والتي يقع الدين في مقدمتها.[٤٧]

التدين وعقلانية الثقافة

يعمل الدين على تشكيل الطريقة التي يمكن من خلالها تعقل الاشياء والظواهر في الحياة الاجتماعية للأفراد والجماعات الاجتماعية المؤلفة للبناء الاجتماعي في هذه المجتمعات لذا فان أي حركة تعمل على اعادة بنية العقلية المجتمعية من خلال اعادة صياغة المعاني الاجتماعية الفردية والعامة للتعبيرات الثقافية فيها يجب ان تستند الى موروثات التدين لمواجهتها بحركات الاصلاح الديني

التي تعمل بدورها على اعادة رسم صورة الدين وانماط التدين في المخيال الشعبي قبل ان تعيد بنية المنظومة القيمية له على اساس النصوص التأسيسية وقابليتها لإعادة التفسير وهذا ما يفسر فشل الحركات الدينية التي اعتمدت على بلورة اتجاهات جديدة في الفهم الديني من خلال التعامل المباشر مع النصوص التأسيسية.

ان الموروثات الاجتماعية التي يأتي بها الدين لا يمكن مواجهتها الا من خلال التعددية التي تتميز بها التفسيرات الفردية التي اوجدها رجال الدين على اساس من خلفياتهم الثقافية والمعرفية التي اكتسبوها من المعرفة الاجتماعية العامة والتي تتناول التجربة الدينية للفرد والجماعة الاجتماعية.[٤٨]

الامر الذي يبقى العقل الديني مرتبطا بتلك التفسيرات الدينية التي يقدمها رجل الدين للمخيال الشعبي العام بما سبب فشل حركات الاصلاح الدينية في احتواء العقل المجتمعي والارتقاء به الى مستوى انتاج المعنى باستخدام المعطيات الثقافية المستجدة في الحياة الاجتماعية نتيجة عملية التغير الاجتماعي التي تتطلب التغيير في الجانب الديني او صورة التدين الشعبي الذي ركن الى الاتكالية التي توفر له المعرفة الاجتماعية الدينية بشكل جاهز ومنقولة عبر عملية التنشئة الاجتماعية مشافهة بما لا يكلف الفرد او الجماعة أي جهد في تحصيل المعرفة والوعي الاجتماعي بها.[٤٩]

تكتسب المعرفة الدينية الشعبية مقبوليتها الاجتماعية وعضويتها الثقافية من خلال منظومة المعاني المتوفرة عن طريق صور الثقة المتبادلة بين المجتمع ورجل الدين الذي يقدم التفسيرات الاجتماعية للتعبير عن المعنى الذي تتضمنه لذا فقد ارتبط موقعه الاجتماعي بالتعبير عن الحرمان والمشاركة فيه مع افراد الجماعة الاجتماعية التي تتشكل من مجموعة الاتباع.[٥٠]

وكذا ترتبط المعاني التي توفرها المعرفة الدينية الشعبية في الحياة الاجتماعية في المجتمعات العربية الاسلامية بكل مضموناتها بالتراث والعودة الى سلوك سبيل السلف في ممارسة التجربة الدينية التي انشات الحضارة الاسلامية في فترة قياسية لم تتجاوز المائة عام بحيث شملت ثلاثة ارباع العالم القديم.[٥١]

لا تكتسب الثقافة سمتها العقلانية العلمية في أي مجتمع من المجتمعات اذا لم يتم عقلنة الصيغ الاجتماعية المولدة للعناصر الثقافية والتي تعمل من خلال عملية توجيه التغير الاجتماعي والتحكم بسرعته على احداث التغيرات الاجتماعية المرغوبة عندما توجه فاعلية القيم الاجتماعية في تحديد السلوك نحو تحقيق المصالح الاجتماعية العامة كجز اساسي من مكونات الثقافة التي تنقل الى الاجيال اللاحقة من خلال عملية التنشئة الاجتماعي التي تقوم بها كل المؤسسات الاجتماعية المؤلفة للبناء الاجتماعي في المجتمع العراقي.

النتائج

١- تتميز العقلية الاجتماعي بسمتها الدينية التي يغلب عليها طابع التطيف الديني المذهبي بما يضعف علاقة الفرد بالدولة ويجعلها تتخذ سمة سلبية

٢- ان صعوبة توليد المواطنة كممارسة اجتماعية بين افراد المجتمع العراقي يعود الى صعوبة التقريب بين التوجهات الطائفية المذهبية التي تقوم على الصراع السياسي المصلحي

٣- ان العقلية العراقية تتسم بالسمة الاسطورية في منهج التفكير الاجتماعي خصوصا في التعامل مع القضايا المصيرية وذلك بسبب ربط كل مفردات الحياة الاجتماعية بالتفسير الديني لها

٤- ان الاسس التي قام عليها الخلاف المذهبي ادت الى انعكاس هذا الخلاف على البنية الاجتماعية للمجتمع العراقي

٥- المذهبية الدينية التي تغذيها الاتجاهات الاجتماعية السياسية ادت الى تفكك وحدة العقل المجتمعي في المجتمع العراقي

٦- ان التطرف الديني الذي يعد احد اهم منابع الارهاب في المجتمع العراقي يعود الى استخدام السياسي للورقة الدينية الطائفية في تحقيق المصالح السياسية

الخاتمة

ان عملية تحديد السمة الغالبة على عقلية أي مجتمع من المجتمعات امر في غاية الصعوبة من الناحية العلمية لان ذلك يتطلب دراسة لجميع نواحي الثقافة التي تسود في هذا المجتمع او ذاك من اجل تحديد أي العوامل الثقافية اكثر فاعلية من غيره في اضفاء صبغة محددة على العقلية الاجتماعية التي يتميز بها افرد مجتمع ما.

ان دراستنا لدور القيم الدينية الطائفية تشير الى ما تضفيه الثقافة من السمة الدينية على القيم الطائفية التي تصبغ المؤسسة الدينية في المجتمع العراقي ذا الغالبية الدينية الاسلامية بشقيها الشيعي والسني من الممارسة الاسطورية للتجربة الدينية التي تغلب على التفكير عند العراقيين نتيجة ما يعانيه الفرد العراقي من ازدواجية عناصر الشخصية الاجتماعية التي تحدد بدورها السبل التي يتم من خلالها عملية تحصيل المعرفة الاجتماعية بشكل عام. تحدد كذلك طرق معالجة هذه المعرفة من خلال عملية التفكير في تفاعلية هذه المعرفة في الذهنية العراقية.

الامر الذي يؤدي الى اتسامها بالسمة الاسطورية نتيجة اعتمادها على الغالب الاجتماعي الذي يطبع الحياة الاجتماعية بطابعه خصوصا بعد احداث التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣ عندما لجا المحتل الى ايجاد نوع من التقسيمة السياسية على اساس التوزيع المذاذهبي والقومي في تقسيم كعكة السلطة بين الفرقاء السياسيين الذين اصبحوا يعولون اليوم على استمرارية هذه الطائفية وتعمقها في الحياة

الاجتماعية نظرا لانهم يعدونها الضمانة لاستمرار تمتعهم بالسلطة ومميزاتها من خلال استغلال الديموقراطية التي تمارس اليوم بطريقة عشوائية على اساس التفضيلات السياسية الطائفية .

ان هذا التميز في العقلية العراقية ادى الى اضعاف علاقة الفرد بالدولة وجعل من هذه العلاقة تتخذ سمة سلبية فالفرد المواطن ما عاد يشعر بالولاء للدولة بقدر ما يكنه من الولاء لأبناء الطائفة او المهب من السياسيين والفتاوى السياسية في فترات الانتخابات لهي خير دليل على هذا التوجه السياسي للفرد العراقي بما ادى الى صعوبة توليد المواطنة الحقيقية كممارسة اجتماعية بين افراد المجتمع العراقي لكي تكون الرابط الاساسي بين ابناء المجتمع يعود ذلك الى صعوبة التقريب بين التوجهات الطائفية المذهبية التي تقوم على الصراع السياسي المصلحي.

كما ان العقلية العراقية اصبحت اسطورية في منهجها في التفكير الاجتماعي خصوصا في التعامل مع القضايا المصيرية وذلك بسبب ربط كل مفردات الحياة الاجتماعية بالتفسير الديني لها فلم تعد المصلحة الاجتماعية العامة للدولة والمجتمع تهم الفرد قدر اهتمامه بالمصالح المذهبية على حساب الدولة والمجتمع. بما جعل من الاسس التي قام عليها الخلاف المذهبي ادت الى انعكاس هذا الخلاف على البنية الاجتماعية للمجتمع العراقي.

ان المذهبية الدينية التي تغذيها الاتجاهات الاجتماعية السياسية ادت الى تفكك وحدة العقل المجتمعي في المجتمع التي عملت بدورها على ترسيخ التفكك الاجتماعي الذي تعانيه فئات ومكونات المجتمع وبالتالي اهدار كل الامكانات المتاحة في احداث التغير الاجتماعي المرغوب عند توظيفها في هذا الاتجاه الذي يجعل من عسكرة المجتمع وتجييشه والترقب لحرب طائفية على الابواب دائما جعل من مستقبل الفرد العراقي قاتما في احسن الاحوال ان لم يكن يسير الى المجهول بما زاد من اعتماده على السمة الاسطورية في التفكير التي تجعل من عملية ترقب عامل الصدفة في تحقيق ما هو مرغوب اساس العمل وليس التخطيط المقنن لاستخدام الموارد و الامكانات البيئية الطبيعية والبشرية.

ان التطرف الديني يعد احد اهم منابع الارهاب في المجتمع العراقي واستمرارية الارهاب في هذا المجتمع يعود بالدرجة الاساس على انعدام وجود التفاعل الايجابي بين الفئات الاجتماعية التي اصبحت تحسد بعضها البعض الاخر نتيجة ما تحققه فئة على حساب كافة مكونات المجتمع العراقي الاخرى الامر الذي يكون الحافز الاساسي لإثارة العداء والنعرات الطائفية بين افراد الديانة الواحدة التي تشكل غالبية افراد المجتمع العراقي حيث ادى ذلك الى استخدام السياسي للورقة الدينية الطائفية كفضل وسيلة واكثرها فاعلية في تحقيق المصالح السياسية.

المصادر

١. احسان محمد الحسن المجتمع في العقل سلسلة المائة كتاب دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٩٠
٢. احمد الخشاب الاجتماع الديني مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٧٠
٣. احمد زكي بدوي معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية مكتبة لبنان بيروت ١٩٨٦
٤. احمد علي زهرة العقل العربي دار العرب للدراسات والنشر والترجمة دمشق ٢٠٠٩
٥. برهان غليون نظام الطائفية المركز الثقافي العربي بيروت ١٩٩٠
٦. تهامي العبدولي ازمة المعرفة الديني مجلة النهج العدد ٣٦ خريف ٢٠٠٤
٧. جان فرانسوا دورتية معجم العلوم الانسانية ترجمة جورج كتورة المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر مركز دراسات الوحدة العربية ابو ضبي ٢٠٠٨
٨. حسنين محمد مخلوف تفسير كلمات القران الكريم مطبعة انوار دجلة بغداد ٢٠٠٩
٩. حيدر حب الله مسالة المنهج في الفكر الديني مؤسسة الانتشار العربي ٢٠٠٦
١٠. خليل احمد خليل العقل في الاسلام دار الطليعة بيروت ط٢ ٢٠١٠
١١. خليل احمد خليل معجم مفاتيح العلوم الانسانية دار الطليعة بيروت ١٩٨٩
١٢. خليل احمد خليل المفاهيم الاساسية في علم الاجتماع دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٤
١٣. رسول محمد رسول نقد العقل الاصلاحي دار النايا للدراسات والنشر والتوزيع دمشق ٢٠٠٨
١٤. ريمون بودون ابحاث في النظرية العامة في العقلانية ترجمة جورج سليمان مركز دراسات الوحدة العربية ٢٠٠٧
١٥. شارلوت سيمور سميث موسوعة علم الانسان ترجمة محمد الجوهري واخرون المركز القومي للترجمة القاهرة ط٢ ٢٠٠٩
١٦. صلاح كاظم جابر علم الاجتماع الديني ملزمة منهجية تدرس لطلبة المرحلة الرابعة في قسم علم الاجتماع ٢٠١٠
١٧. طوني بينيت واخرون مفاتيح اصطلاحية جديدة ترجمة سعيد الغانمي مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ٢٠١٠
١٨. عبد الرزاق الجبران الحل الوجودي للدين انقلاب المعبد مؤسسة الانتشار العربي بيروت ٢٠٠٧
١٩. عبد السلام نور الدين العقل والحضارة دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ٢٠٠٧ مهدي فضل الله القعل والشريعة دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ١٩٩٥
٢٠. عبد السلام نور الدين العقل والحضارة دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ٢٠٠٧
٢١. عز الدين عناية العقل الاسلامي دار الطليعة بيروت ٢٠١١
٢٢. علاء جواد كاظم بنية العقلية العراقية اطروحة دكتوراة غير منشورة قسم علم الاجتماع في كلية الاداب جامعة بغداد ٢٠١٢
٢٣. علي سامي النشار نشاة الدين دار نشر الثقافة الاسكندرية ١٩٤٩
٢٤. علي ناصر كنانة الوعي واعادة انتاج الوعي منشورات دار الجمل بيروت ٢٠٠٩
٢٥. فوزية عيد مرجي العقل ووظيفته منهج فكر الدكتور زكي نجيب محمود الفلسفي دار يافا العلمية للنشر والتوزيع عمان ٢٠٠٨
٢٦. كلود ليفي شتراوس الاسطورة والمعنى ترجمة شاكر عبد الحميد سلسلة المائة كتاب دار الشؤون الثقافية ١٩٨٦

٢٧. محمد احمد بيومي علم الاجتماع الديني دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ط٢ ١٩٨٥
٢٨. محمد عاطف غيث قاموس علم الاجتماع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩
٢٩. محمد عاطف غيث قاموس علم الاجتماع دار المعرفة الجامعية القاهرة ٢٠٠٦ ط٣
٣٠. ميشال مسلان علم الاديان ترجمة عز الدين عناية المركز الثقافي العربي بيروت ٢٠٠٩

الهوامش

[١] صلاح كاظم جابر علم الاجتماع الديني ملزمة منهجية تدرس لطلبة المرحلة الرابعة في قسم علم الاجتماع ٢٠١٠ ص

[٢] محمد احمد بيومي علم الاجتماع الديني االر المعرفة الجامعية الاسكندرية ط٢ ١٩٨٥ ص ٣٢٢

[٣] خليل احمد خليل معجم مفاتيح العلوم الانسانية دار الطليعة بيروت ١٩٨٩ ص ٣٤١

[٤] محمد عاطف غيث قاموس علم الاجتماع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ ص ٥٠٣

[٥] احمد زكي بدوي معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية مكتبة لبنان بيروت ١٩٨٦ ص ٢٣٢

[٦] شارلوت سيمور سميث موسوعة علم الانسان ترجمة محمد الجوهري واخرون المركز القومي للترجمة القاهرة ط٢ ٢٠٠٩ ص٣٧١-٣٧٤

[٧] محمد عاطف غيث قاموس علم الاجتماع دار المعرفة الجامعية القاهرة ٢٠٠٦ ط٣ ص٤٥-٤٦

[٨] المصدر نفسه

[٩] خليل احمد خليل المفاهيم الاساسية في علم الاجتماع دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٤ ص٩٨-١٠٠

[١٠] محمد عاطف غيث مصدر سابق ص٣٩٠-٣٩١

[١١] المصدر نفسه

[١٢] جان فرانسوا دورتية معجم العلوم الانسانية ترجمة جورج كتورة المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر مركز دراسات الوحدة العربية ابو ضبي ٢٠٠٨ ص ٥٤-٥٥

[١٣] شارلوت سيمور مصدر سابق ص ٩٣-٩٦

[١٤] المصدر نفسه

[١٥] فوزية عيد مرجي العقل ووظيفته منهج فكر الدكتور زكي نجيب محمود الفلسفي دار يافا العلمية للنشر والتوزيع عمان ٢٠٠٨ ص٣٧-٣٨

[١٦] شارلوت سيمور مصدر سابق ص ٣٩٤

[١٧] طوني بينيت واخرون مفاتيح اصطلاحية جديدة ترجمة سعيد الغانمي مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ٢٠١٠ ص٤٦٤

[١٨] احسان محمد الحسن المجتمع في العقل سلسلة المائة كتاب دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٩٠ ص ١٣١ - ١٣٣

[١٩] محمد عاطف غيث مصدر سابق ص ٢٥٦

[٢٠] شارلوت سيمور مصدر سابق ص ٣٩٤

[٢١] طوني بينت مصدر سابق

[٢٢] عبد السلام نور الدين العقل والحضارة دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ٢٠٠٧ ص ١٠٧-١٠٩

[٢٣] مهدي فضل الله القعل والشريعة دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ١٩٩٥ ص١٦-٢٤ ينظر ايضا احمد علي زهرة العقل العربي دار العرب للدراسات والنشر والترجمة دمشق ٢٠٠٩ ص ٢٣٧-٢٤٨

[٢٤] الآية ٤٩ سورة الكهف

[٢٥] الآية ٦١ سورة يونس

[٢٦] حسنين محمد مخلوف تفسير كلمات القران الكريم مطبعة انوار دجلة بغداد ٢٠٠٩ الصفحات ٢٠٨، ٢٩٣، ٤٢٨

* المسكوت عنه هو الحاجة الى وجود الاحكام الدينية التي يتم التغاضي عنها لصالح الاجتهاد الانساني لانها تشكل ببنيتها اشكاليات اجتماعية

[٢٧] حيدر حب الله مسالة المنهج في الفكر الديني مؤسسة الانتشار العربي ٢٠٠٦ ص٥٤

[٢٨] ميشال مسلان علم الاديان ترجمة عز الدين عناية المركز الثقافي العربي بيروت ٢٠٠٩ ص٢٤٥

[٢٩] المصدر السابق ص٢٩٦

[٣٠] صلاح كاظم جابر مصدر سابق ص١٣

[٣١] محمد احمد بيومي مصدر سابق ص ٣٣

[٣٢] احمد الخشاب الاجتماع الديني مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٧٠ ص٤٤

[٣٣] علي سامي النشار نشاة الدين دار نشر الثقافة الاسكندرية ١٩٤٩ ص١٢٣

[٣٤] عز الدين عناية العقل الاسلامي دار الطليعة بيروت ٢٠١١ ص٢١

[٣٥] برهان غليون نظام الطائفية المركز الثقافي العربي بيروت ١٩٩٠ ص ٥٠٤٩

[٣٦] عبد الرزاق الجبران الحل الوجودي للدين انقلاب المعبد مؤسسة الانتشار العربي بيروت ٢٠٠٧ ص٣٢

[٣٧] عز الدين عناية مصدر سابق ص ٩

[٣٨] علاء جواد كاظم بنية العقلية العراقية اطروحة دكتوراة غير منشورة قسم علم الاجتماع في كلية الاداب جامعة بغداد ٢٠١٢ ص٢٢

[٣٩] حيدر حب الله مصدر سابق ص٣٠

[٤٠] تهامي العبدولي ازمة المعرفة الديني مجلة النهج العدد ٣٦ خريف ٢٠٠٤ ص٦٠-٧٣

[٤١٤١] المصدر نفسه

[٤٢] عبد السلام نور الدين العقل والحضارة دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ٢٠٠٧ ص١٠٧-١٠٩

[٤٣] رسول محمد رسول نقد العقل الاصلاحي دار النايا للدراسات والنشر والتوزيع دمشق ٢٠٠٨ ص١٣-٣٣

[٤٤] تهامي العبدولي مصدر سابق

[٤٥] ريمون بودون ابحاث في النظرية العامة في العقلانية ترجمة جورج سليمان مركز دراسات الوحدة العربية ٢٠٠٧ ص١٠٣-١٠٨

[٤٦] المصدر نفسه

[٤٧] عز الدين عناية مصدر سابق

[٤٨] عبد السلام نور الدين مصدر سابق ص٥٠-٥٣

[٤٩] علي ناصر كنانة الوعي واعادة انتاج الوعي منشورات دار الجمل بيروت ٢٠٠٩ ص٧-١٢

[٥٠] خليل احمد خليل العقل في الاسلام دار الطليعة بيروت ط٢ ٢٠١٠ ص٢٤٦

[٥١] كلود ليفي شتراوس الاسطورة والمعنى ترجمة شاكر عبد الحميد سلسلة المائة كتاب دار الشؤون الثقافية ١٩٨٦ ص ص٣٣-٤٤

Abstract

The religiosity of the casts values in the mythological the Iraqi social mentality

Social live for any Iraqi individual and group it would control by a system of casts values having the religiosity adjective. This system wasn't religion values because it reject with the main that build by the essential context (holly coran and sona of the prophet). The social content if this values give it deep influence in the daily behavior for the individual and groups in the Iraqi society. That's make the disorganization in the social live. So we see the complex problems link with religion system directly. And make the Iraqi mind suffered from presses represented the social roles inspections, and the ability of the values that determine the social behavior.

This casts religiosity group would control the individuals behavior. When it try to achieve its own social identity. This create the ability of cutting operation of the individual mind with the social reality. As well as the social mind that push the society to more social problematic in many sides of the social live. As we see. It's the main material of the mythological religion thought. That will creates the social struggle between the religiosity groups in the numeric religion society. Like Iraqi society.

The mental occupation of the individuals and the societies will effected by this type of the societal mind. That controlled by narrow religion group identities and interests. The live together in the same society will be very hot. The operation of the human developed need to pass this stage of mythological religion thought. When we try to solve the social problems in the Iraqi society we should create one social mind. By re-united the essential systems of the religion values by seek about the human values for all group in the essential text religions. When we could united the social cultural identity of the individual in the Iraqi society